المحاضرة الرابعة عشر

القضايا النقدية 2

1- التصوير الفني في القرآن لدى سيد قطب

تمهيد:

تمثل قضية التصوير الفني إحدى القضايا النقدية التي عرفها النقد العربي الحديث التي مرت بمراحل متتابعة تشرح وتوضح منظور هذه القضية النقدية من خلال جهود الدارسين، والمفسرين، والنقاد، فنلمح جهد سيد قطب الذي يعرج عن التصوير الفني في القرآن الكريم مؤلفا فيه كتابا وسمه بـ (التصوير الفني في القرآن) وتعددت طبعاته لأهميته، كما سالت أقلام الدارسين حول هذه الرؤية التي انطلق فيها سيد قطب في كتابه.

فما هو تصوره حول هذه القضية النقدية؟

2-التصوير الفني من منظور سيد قطب:

نتطرق في هذا المقام للحديث عن مفهوم التصوير الفني في القرآن الكريم لدى سيد قطب، إلاّ أنّه قبل التحدث عن تصوره الذي حدده في كتابه نعرج عن مراحل التي مرت بها هذه القضية النقدية لنلمح أنّ هنالك ثلاث مراحل تتحدد فيما يلي:

أوّلا: مرحلة التذوق الفطري

العرب الذين تلقوا القرآن الكريم، تذوقوا بحاستهم الفنية جماله الفني الساحر، وأحسوا تأثيره المباشر في قلوبهم وتحسسوا أثر سلطانه العجيب في نفوسهم.

والكافرون منهم، الذين شنّوا ضده حربا دعائية ضخمة، فقالوا عنه: إنّه شعر، وأنّه سحر، اعترفوا بالعجز البالغ على معارضته، وأدركوا إعجازه البياني الرفيع.

نلاحظ في هذه المرحلة تذوقهم للقرآن الكريم لم يكن معللا وإنّما اتسمت هذه المرحلة بالتذوق الفطري المباشر للقرآن الكريم، فيجد فيه من التأثير والانبهار به والاستسلام له دون البحث عن تعليل لهذه الأمور التي تحدث معه.

ثانيا: مرحلة إدراك مواضع الجمال المتفرقة

ارتبطت هذه المرحلة ببحوث المفسرين والبلاغيين، فنلقى المفسرين عندما أقبلوا على دراسة القرآن الكريم وتفسيره وتذوق جماله (في منتصف القرن الثاني الهجري)، اقتصرت نظراتهم على جزئيات، حيث نظروا للآية القرآنية كوحدة منفصلة وبحثوا فيها مباحث اللغة، البلاغة، الأدب، أصول الفقه والتشريع والعقيدة وغيرها. وكتبوا العديد من التفاسير الضخمة حولها فخلصوا لتفاسير نحوية، وبلاغية، وفقهية، أو عقيدية، أو مذهبية، أو صوفية، كما ألفو العديد من الكتب في علوم القرآن الكريم من معاني القرآن، بديع القرآن، تشبيهات القرآن، إعجاز القرآن.

يتضح من هذه المرحلة تعلقها بالتأليف في علوم القرآن المختلفة وانصرافها عن التذوق الجمالي للقرآن الكريم والبحث عن مواطنه.

في حين البلاغيين كانت رؤيتهم للجمال القرآني جزئية، فأخذوا يهتمون بقضايا أخرى كقضية اللفظ والمعنى التي شغلت مباحثهم البلاغية.

ثالثا: مرحلة إدراك الخصائص العامة للجمال الفني القرآني

تعد المرحلة المتأخرة، ولم تتّم إلاّ في العصر الحديث، حينما أدرك سيد قطب الخصائص العامة للجمال الفني في القرآن باكتشافه القاعدة العامة والطريقة الموحدة في التعبير القرآني، وهي نظرية التصوير الفني.

يعتبر سيد قطب رائدها الذي سجله في كتاب (التصوير الفني في القرآن)، حيث ذكر فيه خصائص التصوير وسماته، كما ذكر آفاق هذا التصوير في الموضوعات القرآنية المختلفة. ويعد ممثلها الوحيد لهذه المرحلة

الثالثة من مراحل التذوق الفني للقرآن الكريم، ويُرجع الناقد أنّ السر وراء تفوق سيد قطب في هذه القضية النقدية ونجاحها وإدراك خصائص العامة لهذا الجمال يجملها في النقاط التالية:

-نظرته للقرآن الكريم كوحدة موضوعية متناسقة ومتكاملة، وإدراكه الرابط العم والخيط الدقيق المتين، الذي يشّد جميع آياته وسوره إلى بعضها البعض، بتناسق موضوعي وفني معجز.

-يتجاوز الخلاف الحاد بين البلاغيين حول (اللفظ والمعنى)، وفي أيّهما تكمن البلاغة.

-تحصيله ثقافته نقديّة فنيّة جماليّة، واطلاعه على مختلف الآراء، حول الفن والجمال.

-تمتعه بنظرات نافذة متعمقة فاحصة، جال بها في جنبات آيات القرآن الكريم، وطاف في مجالاتها، وحلل بها مواطن الجمال لمعجز فيها.

-ممارسته الناجحة لفن التفكير، وفن التخيُّل، وفن التعبير، وفن النقد، وشهادة الآخرين بنجاحه وتفوقه في ذلك، حيث كان له حضور فاعل على الساحة الأدبية والنقدية.

ختاما يمكن القول وفق ما سبق إنّ قضية التصوير الفني مرت بمراحل ثلاث لكل مرحلة دورها للانتقال للمرحلة التي تليها ليتحقق تصورها الدقيق على يد الناقد المصري سيد قطب من خلال كتابه الموسوم بـ (التصوير الفني في القرآن) ليوضح من خلاله رؤيته في البحث عن مواطن الجمال وتذوقها من خلال قراءتنا للقرآن الكريم.

الكتب المعتمدة في المحاضرة:

-صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان، الأردن، ط1، 2012م.